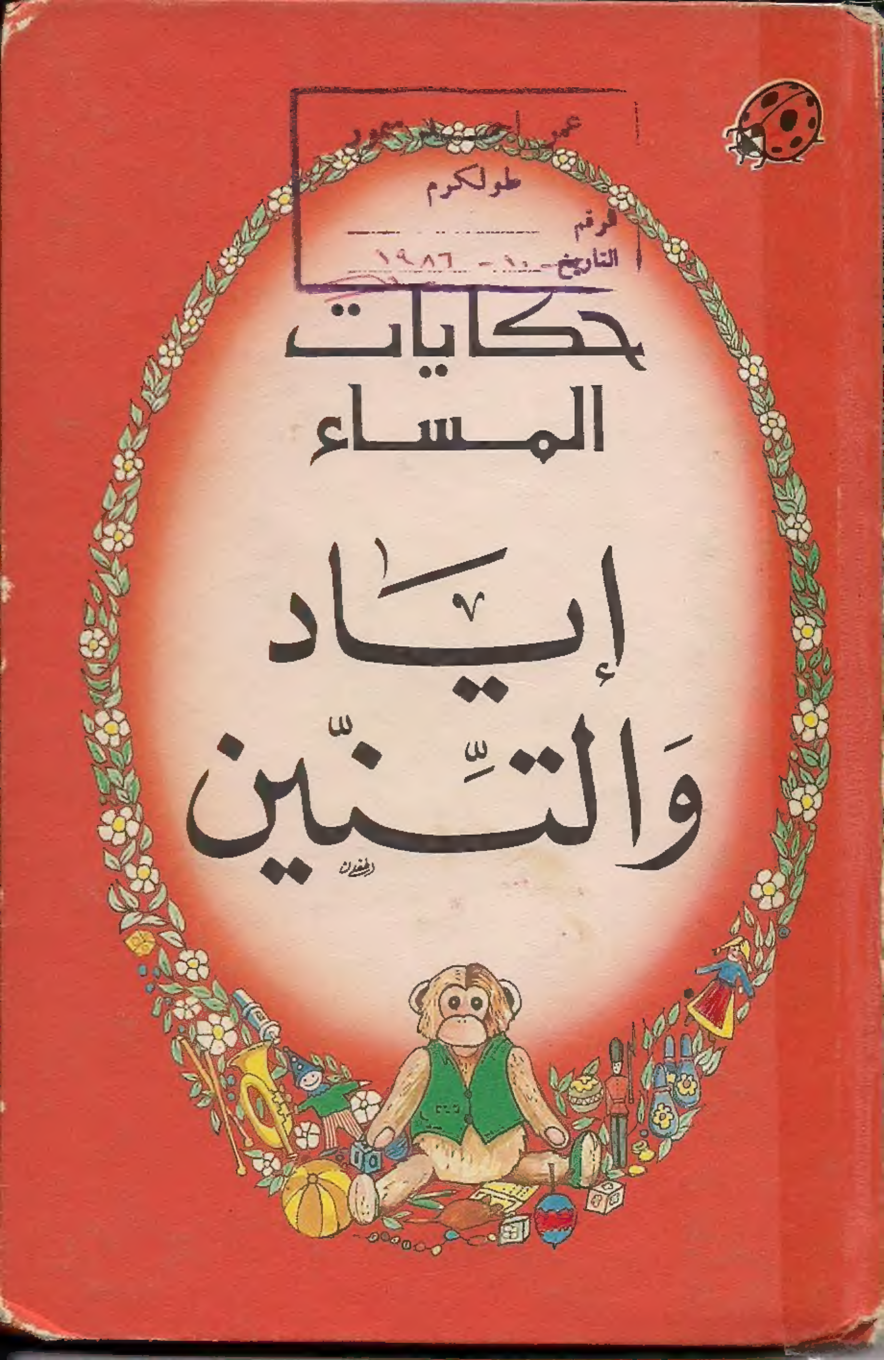
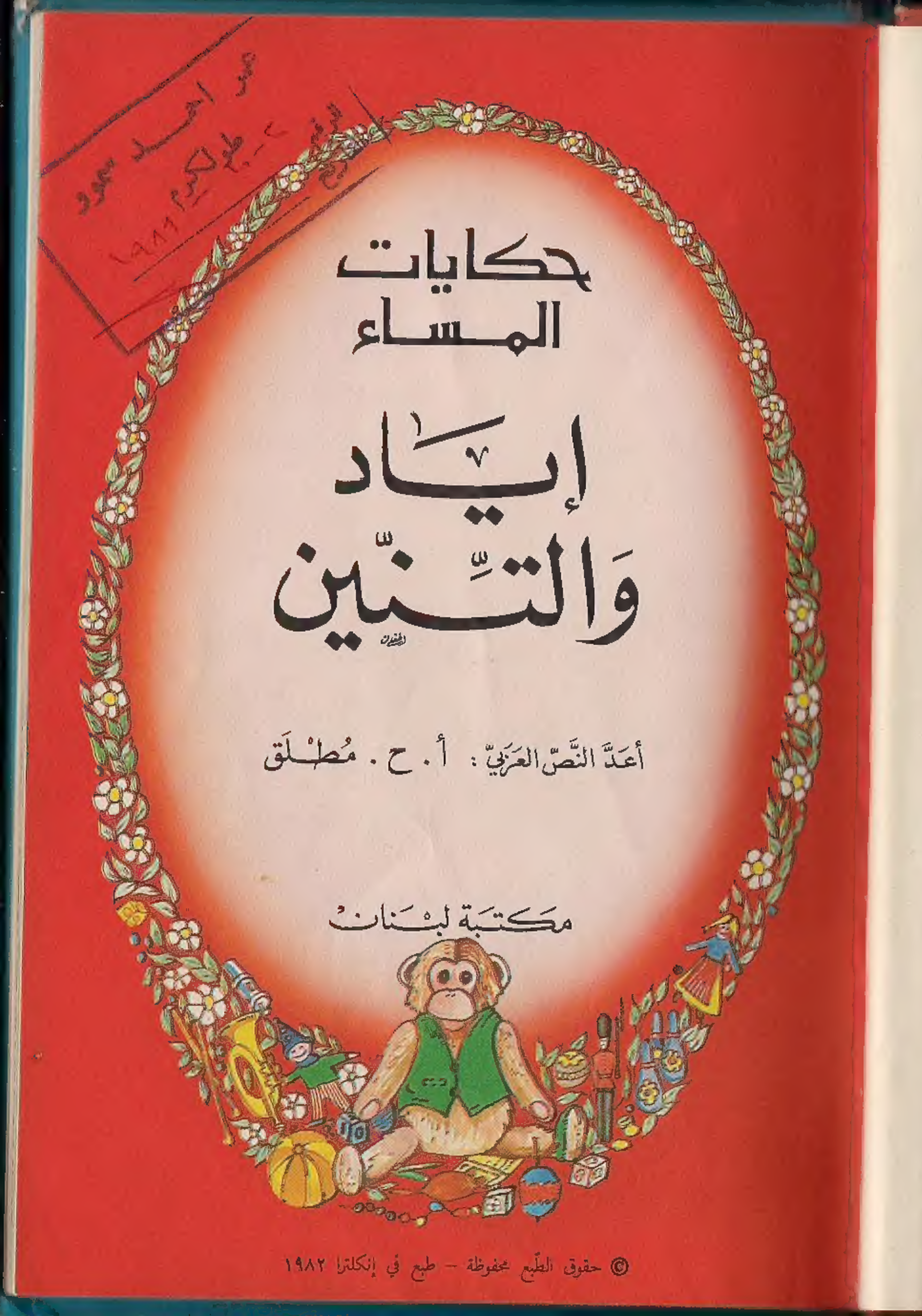


حكايات
المساء
إياد
والتنين





كَثيرًا ما يَحارُ الأَهْلُ في اخْتِيارِ الأَقاصيصِ الَّتي يُلِحُّ أَطْفالُهُمْ في طَلَبِها قُبَيْلَ النَّوْمِ. وهٰذا الكِتابُ مَوْضوعٌ لِيُلَبّي هٰذِهِ الرَّغْبَةَ لدى الأَطْفالِ ويُسَهِّلَ على الآباءِ اخْتِيارَ القِصَّةِ المُناسِبَةِ.

يَشْتَمِلُ الكِتابُ على مَجْموعَةٍ مِنَ القِصَصِ المُشَوِّقَةِ الَّتي سَيُحِبُّها الأَوْلادُ صِغارًا وكِبارًا. وقَدْ صُمِّمَ لَها بِحَيْثُ يُشارِكُ الأَهْلونَ أَبناءَهُمْ في مُتْعَةِ الأَحْداثِ، فيَقْرَأونَ عَلى أَطْفالِهِم الصِّغارِ هٰذِهِ الأَقاصيصَ، ويَشْتَرِكونَ مَعَهُمْ في الاِسْتِمْتاعِ بِالرُّسومِ الرّائِعَةِ المُعَبِّرَةِ.

وهِيَ قِصَصٌ أَخَذَتْ طَريقَها إلى قُلوبِ مَلايينِ الأَطْفالِ في العالَمِ، لأَنَّها تُخاطِبُ عَواطِفَهُمْ، ولأَنَّ أَبْطالَها في الغالِبِ أَطْفالٌ أَوْ حَيَواناتٌ صَغيرَةٌ، وحوادِثُها كُلُّها مِمّا يَجِدُ أَبناؤنا في تَتَبُّعِها مُتْعَةً ولَذَّةً.

وهِيَ كُلُّها قِصَصٌ إنْسانِيَّةٌ تُعَوِّدُ الطِّفْلَ مَحَبَّةَ الإنْسانِ وفَهْمَ الطَّبيعَةِ، وتُنَمّي فيهِ حُبَّ المُغامَرَةِ وقَوْلَ الحَقِّ.

وفي الكِتابِ مَقْطوعاتٌ شِعْرِيَّةٌ يَسْهُلُ حِفْظُها تُساعِدُ في إضْفاءِ لَوْنٍ مِنَ النَّغَمِ المُحَبَّبِ على جَوِّ الأَقاصيصِ.

المُحْتَوَيات

إياد والتّنّين

جَلَسَ المَلِكُ بُوشار، مَلِكُ مَمْلَكَةِ شُومار، يَرْتَجِفُ فَوْقَ عَرْشِهِ، ويَقولُ: «هٰذا أَمْرٌ لا يُطاقُ. الشِّتاءُ قارِسٌ، والثَّلْجُ يَمْلَأُ الأَرْضَ، ولَيْسَ في المَمْلَكَةِ كُلِّها نارٌ واحِدَةٌ نَسْتَدفِئُ بِها. أَكادُ أَتَجَمَّدُ بَرْدًا!»

وكانَ اللَّوْمُ، فيما أَصابَ المَمْلَكَةَ، يَقَعُ على المَلِكِ نَفْسِهِ. فإِنَّهُ أَهانَ السّاحِرَةَ وزي. لَمْ تَكُنْ وزي ساحِرَةً شِرِّيرَةً، بَلْ إِنَّها كثيرًا ما ساعَدَتِ النّاسَ بِتَعاويذِها. غَيْرَ أَنَّهُ كانَ قَدْ أَصابَها مُنْذُ مُدَّةٍ ضُعْفٌ في نَظَرِها، وبَيْنَما كانَتْ ذاتَ يَوْمٍ تَهُمُّ بِالطَّيَرانِ أَصابَتْ عَصاها السِّحْرِيَّةُ البَيْتَ الزُّجاجِيَّ الَّذي يَزْرَعُ فيهِ المَلِكُ نَباتاتِهِ، فهَشَّمَتْهُ. غَضِبَ مِنْها المَلِكُ





غَضَبًا شَديدًا، وأَهانَها وأَمَرَها أَنْ تَرْحَلَ عَنِ المَمْلَكَةِ، هِيَ وعَصاها وقِطَّتُها، إلى غَيْرِ رَجْعَةٍ.

وكانَتْ وزي مُضْطَرِبَةً بَعْدَ حادِثَةِ التَّصادُمِ، قَلِقَةً مِنْ أَنْ يَكونَ أَصابَ عَصاها أَوْ قِطَّتَها سوءٌ. فلَمّا طَرَدَها المَلِكُ طارَتْ بِغَضَبٍ شَديدٍ ورَمَتْ بِتَعْويذَةٍ سَأَلَتْ فيها أَنْ تَخْلُوَ المَمْلَكَةُ كُلُّها مِنْ عيدانِ الكِبْريتِ. وهٰكَذا طارَتْ مَعَ وزي مَلايينُ عيدانِ الكِبْريتِ وبَدَتْ في الفَضاءِ كأَنَّها عاصِفَةٌ هَوْجاء.

لَمْ يَتَأَثَّرْ أهالي المَمْلَكَةِ أَوَّلَ الأَمْرِ. فَقَدْ كانَ الطَّقْسُ لا يَزالُ مَقْبولًا ، وكانَتِ النّارُ لا تَزالُ تَشْتَعِلُ في المَواقِدِ. ثُمَّ حَدَثَ بَعْدَ أَيّامٍ أَنْ هَبَّتْ ريحٌ هَوْجاءُ دَخَلَتِ البُيوتَ عَبْرَ المَداخِنِ والأَبْوابِ والشَّبابيكِ وأَطْفَأَتْ نيرانَ المَمْلَكَةِ كُلَّها. وهُنا بَدَأَتِ المُشْكِلَةُ.

لَمْ يَعُدْ أَحَدٌ قادِرًا عَلى أَنْ يَطْبُخَ أَوْ يُسَخِّنَ ماءً. وسَرْعانَ ما ضاقَ ذَرْعُ النّاسِ بالطَّعامِ البارِدِ. ثُمَّ اشْتَدَّ الشِّتاءُ قَسْوَةً ، وتَساقَطَتِ الثُّلوجُ وغَطّى الجَليدُ الأَرْضَ. فَلَجَأَ النّاسُ إلى ثِيابِهِمِ الصّوفِيَّةِ القَديمَةِ يَلْبَسونَها ويَنْسِجونَ ثِيابًا جَديدَةً.

أَعْلَنَ المَلِكُ بوشار عَنْ دُروسٍ تُعْطى لِلرّاغِبينَ في التَّغَلُّبِ عَلى البَرْدِ. فكانَ النّاسُ يَتَجَمْهَرونَ كُلَّ صَباحٍ أَمامَ قَصْرِ المَلِكِ لِلْقِيامِ بِالتَّمارينِ الرِّياضِيَّةِ. غَيْرَ أَنَّ ذٰلِكَ كُلَّهُ لَمْ يُفِدْ. فَأَرْسَلَ المَلِكُ يَسْتَدْعي مُسْتَشاريهِ ويَسْأَلُهُمُ النُّصْحَ. ولٰكِنَّ ذٰلِكَ لَمْ يُفِدْ أَيْضًا. وأَشارَ أَحَدُ المُسْتَشارينَ العِظامِ أَنْ تُوَلَّدَ النّارُ عَنْ طَريقِ الاحْتِكاكِ ، بِاسْتِعْمالِ عَصَوَيْنِ جافَّتَيْنِ. ولٰكِنَّ تِلْكَ الطَّريقَةَ ، لِسَبَبٍ أَوْ لآخَرَ ، لَمْ تَنْفَعْ. وكانَ أَنِ اسْتَمَرَّتْ مَوْجَةُ البَرْدِ دونَ أَنْ يَقْدِرَ أَحَدٌ عَلى التَّغَلُّبِ عَلَيْها.





ذاتَ يَوْمٍ ، بَيْنَمَا كانَ أَحَدُ الأَوْلادِ ، واسْمُهُ إياد ، يَتَجَوَّلُ في الغابَةِ بَحْثًا عَنْ شَيْءٍ مِنَ الفاكِهَةِ ، سَمِعَ صَوْتًا غَريبًا . كانَ صَوْتًا أَشْبَهَ بِالأَنينِ مَمْزوجًا بِزَئيرٍ حَزينٍ . خافَ إياد وأَرادَ أَن يَهْرُبَ ، لٰكِنَّهُ خَشِيَ أَن يَكونَ أَحَدٌ مُحْتاجًا إلى عَوْنٍ . فَزَحَفَ بِهُدوءٍ عَبْرَ الأَجَماتِ مُتَتَبِّعًا الصَّوْتَ . اِرْتَفَعَ صَوْتُ الأَنينِ ، فإذا إياد أَمامَ حُفْرَةٍ كَبيرَةٍ عَميقَةٍ ، وإذا في جَوْفِ الحُفْرَةِ تِنّينٌ يَبْكي . وما إن مَدَّ إياد رَأْسَهُ يَسْتَطْلِعُ الأَمْرَ حَتّى عَلا نَحيبُ التِّنّينِ وسَمِعَهُ يَقولُ : «لَنْ أَخْرُجَ مِنْ هُنا أَبَدًا ! يا لَحَظِّيَ التَّعيسِ !»

أَحَسَّ إياد بِخَوْفٍ ، ولٰكِنَّهُ أَشْفَقَ عَلى التِّنّينِ وشَعَرَ أَنَّهُ مَخْلوقٌ مُسالِمٌ . فَتَمْتَمَ قائلًا : «أَتُريدُ مُساعَدَةً ؟»

بَدا أَنَّ التِّنّينَ فوجِئَ بِالصَّوْتِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وقالَ بِخَوْفٍ : «مَنْ يَتَكَلَّمُ ؟ أَيْنَ أَنْتَ ؟ أَنا لَسْتُ تِنّينًا مِقْدامًا ، أَرجوكَ لا تُؤْذِني !»

زايَلَ الخَوْفُ قَلْبَ إياد ، فَوَقَفَ وقالَ : «لا تَخَفْ ، لَنْ أُوذِيَكَ ، بَلْ إِنّي سَأُساعِدُكَ .»

قالَ التِّنّينُ بِامْتِنانٍ : «أَرْجوكَ ساعِدْني ، فَقَدْ ظَنَنْتُ أَنّي وَقَعْتُ في شَرَكٍ ، وأَنَّ أَحَدًا قَدْ جاءَ لِيَحْبِسَني في قَفَصٍ .»

فعادَ إياد يُطَمْئِنُهُ قائلًا : «لا تَخَفْ . إنَّنا لا نَحْبِسُ أَحَدًا .»

تابَعَ التِّنّينُ شَكْواهُ قائلًا : «ضَيَّعْتُ طَريقي ، ورُحْتُ أَتَنَقَّلُ مِنْ جَبَلٍ إلى جَبَلٍ ، حَتّى وَجَدْتُ نَفْسي هُنا في هٰذِهِ الحُفْرَةِ .» وهُنا عادَ التِّنّينُ يَبْكي ويَقولُ : «أُريدُ أُمّي !»

فُوجِئَ إياد بِكَلامِ التِّنّينِ . ولٰكِنْ أَيْنَ العَجَبُ ، فَلِلتَّنانينِ أَيْضًا أُمَّهاتٌ ! ثُمَّ قالَ : «لا بُدَّ أَنَّكَ تِنّينٌ فَتِيٌّ .»

أَجابَ التِّنّينُ ، وهْوَ لا يَزالُ يَشْهَقُ بِالبُكاءِ : «نَعَمْ أَنا فَتِيٌّ . إنَّ عُمْري تِسْعٌ وتِسْعونَ سَنَةً فَقَطْ .»

راحَ إياد يُفَكِّرُ فيما يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ عَلَيْهِ سِنُّ والِدَةِ ذٰلِكَ التِّنّينِ الصَّغيرِ الكَبيرِ ، ويُحاوِلُ أَنْ يَجِدَ طَريقَةً يُخْرِجُ بِها المَخْلوقَ الحَبيسَ مِنَ الحُفْرَةِ . خَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ لامِعَةٌ . جَمَعَ كَمِّيَّةً كَبيرَةً مِنَ النَّباتاتِ المُتَسَلِّقَةِ ونَسَجَ مِنْها حَبْلًا طَويلًا مَتينًا . ثُمَّ رَبَطَ أَحَدَ طَرَفَيِ الحَبْلِ حَوْلَ شَجَرَةٍ ورَمى الطَّرَفَ الآخَرَ إلى التِّنّينِ ، وقالَ :

«أَمْسِكِ الحَبْلَ بِقُوَّةٍ وتَسَلَّقْ .»

أَمْسَكَ التِّنّينُ الحَبْلَ وراحَ يَتَسَلَّقُهُ حَتّى تَمَكَّنَ مِنَ الخَلاصِ مِنَ الحُفْرَةِ . وطَفَحَ وَجْهُهُ بِشْرًا ، وهْوَ يَقولُ :

«شُكْرًا لَكَ يا صَديقي ، شُكْرًا لَكَ !»

قَدَّمَ الصَّبِيُّ الشُّجاعُ نَفْسَهُ قائِلًا : «اِسْمي إياد .»

رَدَّ التِّنّينُ قائِلًا : «واسْمي لَهَباد .»

ضَحِكَ إياد مِنْ هٰذا التَّشابُهِ في صَوْتِ الاِسْمَيْنِ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ إذ لاحَظَ أَنَّ التِّنّينَ لَهَباد جَريحٌ . وعَرَفَ أَنَّ هٰذا الجُرْحَ ناجِمٌ عَنْ وُقوعِ التِّنّينِ في الحُفْرَةِ .

قالَ إياد : «تَعالَ مَعي أَيُّها التِّنّينُ اللَّطيفُ .» ثُمَّ مَشى الاِثْنانِ في الغابَةِ في اتِّجاهِ الكوخِ الَّذي يَعيشُ فيهِ الصَّبِيُّ .



فُوجِئَتْ والِدَةُ إياد أَوَّلَ الأَمْرِ بِرُؤْيَةِ التِّنينِ. ثُمَّ أَسْرَعَتْ وضَمَّدَتْ جُرْحَهُ ، وقالَتْ :

«أَعْتَذِرُ عَنْ بُرودَةِ البَيْتِ. فلَقَدْ أَخَذَتْ إحْدى السّاحِراتِ كُلَّ ما في مَمْلَكَتِنا مِنْ عيدانِ الكِبْريتِ.»

قَفَزَ لَهَباد وأَجابَ بِفَرَحٍ قائلًا : «أَنا أُساعِدُكُمْ. تَعْلَمينَ أَنَّ التَّنانينَ تَنْفُثُ لَهَبًا. ويَسُرُّني أَنْ أَرُدَّ لَكُمْ جَميلَكُمْ.»

أَسْرَعَ إياد وأُمُّهُ وأَخَذا التِّنينَ إلى المِدْفَأَةِ. فَطَلَبَ مِنْهُما التِّنينُ الابْتِعادَ ، ثُمَّ هَمَسَ في أُذُنِ إياد قائلًا : «لا زِلْتُ مُبْتَدِئًا ، فأَنا صَغيرٌ كَما تَعْلَمُ.»

ثُمَّ أَطْلَقَ صَوْتًا هادِرًا خَرَجَ مَعَهُ لَهَبٌ قَوِيٌّ ، وسَرْعانَ ما اشْتَعَلَتِ المِدْفَأَةُ بِنارٍ مُسْتَعِرَةٍ.

خَطَرَتْ لإِياد فِكْرَةٌ رائِعَةٌ. وقالَ لِلتِّنينِ: «تَعالَ مَعي إلى القَصْرِ ، سَنُشْعِلُ مِدْفَأَةَ المَلِكِ.»

سَرْعانَ ما وَصلا إلى بَلاطِ المَلِكِ بُوشار ، مَلِكِ مَمْلَكَةِ شُومار. فاسْتَقْبَلَهُما المَلِكُ اسْتِقْبالًا حافِلًا وأَمَرَ رِجالَهُ أَنْ يُعِدّوا في ساحَةِ القَصْرِ كَوْمَةً هائِلَةً مِنَ الحَطَبِ لِيَأْتِيَ النّاسُ ويَسْتَدْفِئوا.

في تِلْكَ اللَّيْلَةِ أُقيمَتِ الاحْتِفالاتُ حَوْلَ النّارِ في ساحَةِ القَصْرِ ، وفي أَرْجاءِ المَمْلَكَةِ كُلِّها. وكانَ الجَميعُ يُغَنّونَ ويَرْقُصونَ.

وأَصْبَحَ لَهَباد شَخْصِيَّةً مَشْهورَةً في مَمْلَكَةِ شُومار لأَنَّهُ زارَ كُلَّ بَيْتٍ فيها وأَشْعَلَ النّارَ.





أَخيرًا كانَ عَلى لَهَباد أَنْ يَعودَ إلى بَلَدِه وأُمِّهِ. وَدَّع أَصْدِقاءَهُ مُؤَكِّدًا لإياد أَنَّهُ سيَعودُ إلى زِيارَتِهِ.

وقَبْلَ أَنْ يَنْطَلِقَ في رِحْلَتِهِ رَأى الجَميعُ ، فَجْأَةً ، السّاحِرَةَ وِزي تَصِلُ عَلى مَتْنِ عَصاها السِّحْرِيَّةِ ، ومِنْ حَوْلِها تَطيرُ مَلايينُ عيدانِ الكِبْريتِ الّتي كانَتْ قَدْ أَخَذَتْها مَعَها حينَ رَحَلَتْ. حَطَّتْ وِزي في ساحَةِ القَصْرِ ، وقالَتْ لِلْمَلِكِ بُوشار إنَّها لا تَسْتَطيعُ العَيْشَ خارِجَ مَمْلَكَةِ شُومار. وبَدا أَنَّ المَلِكَ كانَ سَعيدًا جِدًّا بِعَوْدَتِها ، فقَدِ افْتَقَدَها وافْتَقَدَ تَعاويذَها ، خُصوصًا تِلْكَ الَّتي كانَتْ تَتَسَبَّبُ في بَعْضِ المَتاعِبِ اللَّطيفَةِ. فاعْتَذَرَ لَها عَنْ إهانَتِهِ إيّاها في ساعَةِ غَضَبٍ ، وأَقامَ وليمَةً كُبْرى احْتِفاءً بِعَوْدَتِها.

وكانَ إياد ولَهَباد ، وَوِزي طَبْعًا ، ضُيوفَ الشَّرَفِ في تِلْكَ الحَفْلَةِ.

سَــمّورَة وَالحُوت



أَوْصَتِ السَّمَكَةُ الأُمُّ سَمَكاتِها الصِّغارَ أَلّا تَقْتَرِبَ مِنَ الحوتِ الرَّمادِيِّ الضَّخْمِ ، خَوْفًا مِنْ قُوَّتِهِ الهائِلَةِ. ولَمْ يَنْفَعِ احْتِجاجُ الأَسْماكِ الصَّغيرَةِ الَّتي كانَتْ تُريدُ أَنْ تَلْعَبَ في كُلِّ مَكانٍ.

سَبَحَتِ الأَسْماكُ الصَّغيرَةُ بِخِفَّةٍ ورَشاقَةٍ إلى مَرْكَبٍ غارِقٍ قَديمٍ ، تَلْعَبُ داخِلَهُ وحَوْلَهُ لُعْبَةَ الاسْتِخْفاءِ.

لٰكِنَّ سَمّورَة ، السَّمَكَةَ الشَّقِيَّةَ الصَّغيرَة ، تَسَلَّلَتْ عَبْرَ إِحْدى الفُتْحاتِ الجانِبِيَّةِ وسَبَحَتْ بِسُرْعَةٍ إلى مَكانٍ بَعيدٍ ، واخْتَفَتْ. فخافَتْ عَلَيْها الأَسْماكُ الأُخْرى وراحَتْ تُناديها ، ولٰكِنْ دونَ مُجيبٍ.

أَخَذَتِ الأَسْماكُ الصَّغيرَةُ تَبْكي وتَقولُ : «كَيْفَ نَعودُ الآنَ إلى أُمِّنا وأَبينا دونَ سَمّورَة؟ لَقَدْ أَوْصَتْنا أُمُّنا بالاهْتِمامِ بِسَمّورَة لِأَنَّها شَقِيَّةٌ وصَغيرَةٌ. وأَبونا أَيْضًا لَنْ يَغْفِرَ لَنا إِهْمالَنا.»

كانَتِ الأَسْماكُ تَخافُ أَنْ يَبْتَلِعَ الحوتُ سَمّورَة ، أَو أَنْ تَقَعَ في شَبَكَةِ صَيّادٍ. وبَيْنَما كانَتْ تَجْلِسُ قُرْبَ المَرْكَبِ القَديمِ تَبْكي ، اقْتَرَبَ مِنْها حِصانُ بَحْرٍ وقالَ لَها :

«إذا كُنْتِ أَيَّتُها الأَسْماكُ الصَّغيرَةُ تَبْكينَ لاخْتِفاءِ سَمّورَة ، فإنّي قَدْ رَأَيْتُ تِلْكَ السَّمَكَةَ الشَّقِيَّةَ عِنْدَ أَعْشابِ البَحْرِ ، وقُلْتُ لَها : عودي أَيَّتُها السَّمَكَةُ البَلْهاءُ إلى بَيْتِكِ وإلّا صادَفَكِ الحوتُ وابْتَلَعَكِ.»



شَكَرَتِ السَّمَكاتُ الصَّغيرَةُ حِصانَ البَحْرِ ثُمَّ جَفَّفَتْ دمُوعَها، وانْطَلَقَتْ مُسْرِعَةً تَبْحَثُ عَنْ سَمّورَة.

وَصَلَتْ إلى أَعْشاب البَحْرِ، وأَخَذَتْ تُنادي أُخْتَها. ولكِنْ ما مِنْ مُجيبٍ! فجَلَسَتْ هُناكَ تَنْتَظِرُها.

أَمّا سَمّورَة فقَدْ كانَتْ تَتَنَقَّلُ مِنْ مَكانٍ إلى مَكانٍ تُحادِثُ الأَسْماكَ الَّتي تُقابِلُها وتَلْحَقُ الحَيَواناتِ البَحْرِيَّةَ الأُخْرى. وكانَتْ كُلُّها تُحَذِّرُ سَمّورَة مِنَ التَّهَوُّرِ وتَرْجوها أَن تَعودَ إلى بَيْتِها لِئَلّا يَبْتَلِعَها الحُوتُ

الرَّماديُّ الضَّخْمُ. ولكِنْ سمّورَة لَمْ تكُنْ تُصَدِّقُ ما تَسْمَعُ وتَظُنُّ أَنَّ الأَسْماكَ تَكْذِبُ عَلَيْها.

تَنَهَّدَتْ إِحْدى الأَسْماكِ وقالَتْ: «مِسْكينَةٌ سَمّورَة! إنَّها تَسْعى إلى المَتاعِبِ. إنَّها حَقًّا مَجْنونَةٌ!»

زادَ إِهْمالُ سَمّورَة بَعْدَ أَنْ ظَلَّتْ طَوالَ النَّهارِ تَتَنَقَّلُ في البِحارِ دونَ أَنْ تُصادِفَ حُوتًا. وقالَتْ:

«الحوتُ خُرافَةٌ! قِصَّةٌ خَياليَّةٌ ابْتُدِعَتْ لِتَخْويفِ الأَسْماكِ الصَّغيرَةِ. لَمْ أُقابِلْ حُوتًا طَوالَ هذا اليَوْمِ. والآنَ بَعْدَ أَنْ شَبِعْتُ مِنَ اللَّعِبِ عَلَيَّ أَنْ أَعودَ إلى البَيْتِ، فإنّي جائعَةٌ، ولا بُدَّ أَنَّ أُمّي قَلِقَةٌ عَلَيَّ.»



لكِنَّ سَمّورَة لَمْ تَعْرِفْ طَريقَ العَوْدَةِ. مِسْكينَةٌ! لَقَدْ ضاعَتْ. وبَدَأَ الخَوْفُ يُساوِرُها. فَجْأَةً قَفَزَ قَلْبُها رُعْبًا حينَ سَمِعَتْ صَوْتًا هادِرًا يَقولُ: «مَرْحَبًا أَيَّتُها المَخْلوقَةُ الصَّغيرَةُ. إنَّ مَنْظَرَكِ غَريبٌ! ماذا تَفْعَلينَ هُنا؟»

أَخَذَتْ سَمّورَة تَبْكي وتَقولُ: «أَتَيْتُ أَبْحَثُ عَنِ الحُوتِ الرَّماديِّ الضَّخْمِ. وقَدْ صادَفْتُ أَسْماكًا كَثيرَةً وحَيَواناتٍ بَحْرِيَّةً، ولكِنَّني أَضَعْتُ طَريقي. أُريدُ أَنْ أَعودَ إلى بَيْتي. إنَّ أُمّي في انْتِظاري.»

قالَ الصَّوْتُ الهادِرُ: «مِسْكينَةٌ أَنْتِ! اِرْكَبي عَلى ظَهْري وسَأُوصِلُكِ إلى بَيْتِكِ في وَقْتٍ قَصيرٍ.»

تَعَلَّقَتْ سَمّورَة بِظَهْرِ صاحِبِ الصَّوْتِ الهادِرِ وانْطَلَقَ الاثْنانِ في أَعْماقِ البَحْرِ وَسطَ المِياهِ الزَّرْقاءِ والخَضْراءِ، إلى أَنْ وَصَلا إلى أَعْشابِ البَحْرِ. وكانَتْ سَمّورَة في ذلِكَ الوَقْتِ قَدْ نامَتْ نَوْمًا عَميقًا.

كانَتِ الأَسْماكُ الصَّغيرَةُ لا تَزالُ تَنْتَظِرُ هُناكَ عَوْدَةَ سَمّورَة. لكِنَّها رَأَتِ الآنَ وَحْشًا مُقْبِلًا عَلَيْها، فَراحَتْ تَسْتَغيثُ وتَسْبَحُ هارِبَةً بِأَقْصى قُوَّتِها.

عِنْدَئِذٍ، قالَ صاحِبُ الصَّوْتِ الهادِرِ مُتَنَهِّدًا: «إنَّ لِلضَّخامَةِ سَيِّئاتٍ. فَمَعَ أَنّي حُوتٌ مُسالِمٌ لا أُوذي أَحَدًا فإنَّ الجَميعَ يَخافُ مِنّي ويَبْتَعِدُ عَنّي.»

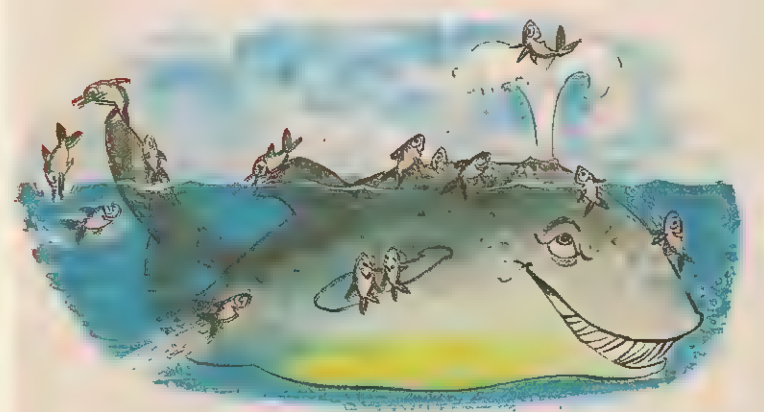
حينَ سَمِعَ الوالِدانِ حِكايَةَ الوَحْشِ المُرْعِبِ أَصابَهُما قَلَقٌ شَديدٌ. فقَدْ قَدَّرا أَنَّ هٰذا الوَحْشَ هُوَ الحوتُ. وقالا لِلْأَسْماكِ الصَّغيرَةِ:

«اِذْهبي أَنْتِ واخْتَبِئي داخِلَ المَرْكَبِ. أَنْتِ هُناكَ في أَمانٍ. لا تُحْدِثي صَوْتًا، ولا تَخْرُجي إِلَّا حينَ نُناديكِ.»

اِنْتَظَرَ الوالِدانِ بِشَجاعَةٍ وُصولَ الوَحْشِ. وكانَ، كَما تَوَقَّعا، حُوتًا رَمادِيًّا ضَخْمًا. وقَدْ أَرْعَبَهُما مَنْظَرُهُ إِرْعابًا شَديدًا، ولٰكِنَّ الحُوتَ بادَرَهُما بِالكَلامِ قائلًا:

«لا تَخافا. كانَتْ سَمّورَةَ تَبْحَثُ عَنّي، فأَضاعَتْ طَريقَها. وقَدْ جِئْتُ بِها. هَلْ بِإِمْكاني أَنْ أَبْقَى مَعَكُمْ وأَلْعَبَ؟»

تَنَهَّدَ الوالِدانِ تَنَهُّدَةَ ارْتِياحٍ، ورَحَّبا بِالحوتِ كَثيرًا. وحَمَلَتِ الأُمُّ صَغيرَتَها النّائِمَةَ سَمّورَةَ ووَضَعَتْها في سَريرِها.



الشَّمْسُ وَالسَّمَكَةُ



كانَتْ الشَّمْسُ ذاتَ مَساءٍ تَهُمُّ بِالغُروبِ حينَ زَلِقَتْ فَجْأَةً ، وسَقَطَتْ في ماءِ البَحْرِ مُحْدِثَةً رَشاشًا هائلًا وصَوْتًا صاخِبًا. فغَرِقَ العالَمُ كُلُّهُ في الظَّلامِ ، واضْطُرَّ القَمَرُ إلى الطُّلوعِ مُبَكِّرًا تِلْكَ اللَّيْلَةَ لِيَحُلَّ مَحَلَّ الشَّمْسِ في إنارَةِ الأَرْضِ.

غَيْرَ أَنَّ القَمَرَ كانَ غاضِبًا ، وراحَ يُتَمْتِمُ قائلًا : «هٰذِهِ الشَّمْسُ تَزْدادُ طَيْشًا وإهْمالًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ. وها هِيَ قَدْ سَقَطَتْ في البَحْرِ ومَلَأَتِ الدُّنْيا رَذاذًا ، وكَأَنَّ الأَمْرَ هَيِّنٌ يَسيرٌ. لَسْتُ أَقْوى عَلى حَمْلِها.. إنَّها ثقيلَةٌ ! عَلى البَحّارَةِ أَنْ يَتَدَبَّروا أَمْرَ رَفْعِها.»

قالَ أَحَدُ البَحّارَةِ : «المَسْأَلَةُ سَهْلَةٌ ! سَنَرْفَعُ الشَّمْسَ بِحَبْلٍ مَتينٍ مِثْلَما نَرْفَعُ المِرْساةَ.»

فَتَّشوا كَثيرًا حَتّى عَثَروا عَلى حَبْلٍ مَتينٍ ثَخينٍ كَأَنَّهُ جِذْعُ شَجَرَةٍ. وكانَ حَبْلًا ثَقيلًا جِدًّا فتَعاوَنَ مِئاتُ البَحّارَةِ عَلى رَفْعِهِ.

رَبَطوا الشَّمْسَ حَوْلَ وَسَطِها مُسْتَخْدِمينَ أَنْواعًا عَديدَةً مِنَ العُقَدِ ، ثُمَّ عادوا إلى سُفُنِهِمِ الضَّخْمَةِ. وراحَتِ السُّفُنُ تَشُدُّ بِأَقْصى قُوَّتِها.

أَخَذَتِ الشَّمْسُ تَرْتَفِعُ بُوصَةً بُوصَةً. لٰكِنْ ، فَجْأَةً ، انْقَطَعَ الحَبْلُ وسَقَطَتِ الشَّمْسُ في البَحْرِ ثانِيَةً ! كانَ الصَّباحُ قَدِ اقْتَرَبَ ؛ مَعَ أَنَّ الصَّباحَ لَنْ يَطْلَعَ والشَّمْسُ واقِعَةٌ في البَحْرِ. عَلى أَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَكُنْ تُبالي ، بَلْ كانَتْ مُسْتَلْقِيَةً ، سَعيدَةً بِاسْتِرْخائها ، تَلْهو بإرْسالِ الرَّذاذِ مِنْ حَوْلِها.

عَبَسَ القَمَرُ وقالَ وهْوَ يَتَنَهَّدُ : «أَظُنُّ أَنَّ عَلَيَّ أَنْ أُنيرَ الأَرْضَ في النَّهارِ أَيْضًا. لٰكِنَّني حَزينٌ لِلنّاسِ الَّذين يَنْتَظِرون الشَّمْسَ. فهٰؤُلاءِ ما ذَنْبُهُمْ؟»

ثُمَّ نَظَرَ إلى أَسْفَلُ وصاحَ : «أَيُّها النّاسُ ، أَلَيْسَ عِنْدَكُمْ شَبَكَةٌ ؟»

رَدَّ عَلَيْهِ النّاسُ قائلينَ : «الصَّيّادونَ يَصْنَعونَ الآنَ شَبَكَةً ، وسَيَرْفَعونَ بِها الشَّمْسَ مِنَ الماءِ كَما يَرْفَعونَ السَّمَكَ.»

وعَلى ضَوْءِ القَمَرِ ظَلَّ الصَّيّادونَ مُنْهَمِكينَ طَوالَ النَّهارِ في صُنْعِ شَبَكَةٍ ضَخْمَةٍ. انْتَهَوا مِنْ صُنْعِها مَساءً ، فإذا هِيَ في اتِّساعِها مُناسِبَةٌ جِدًّا. لٰكِنَّ الشَّبَكَةَ لَمْ تَتَحَمَّلْ ثِقْلَ الشَّمْسِ ، فما إنْ بَدَأَتْ تَرْتَفِعُ حَتّى تَمَزَّقَتْ

وسَقَطَتِ الشَّمْسُ مَرَّةً أُخرى في البَحْرِ.

مَرَّ يَوْمٌ آخَرُ، كانَ القَمَرُ فيهِ لا يَزالُ يُنيرُ وَحْدَهُ السَّماءَ. فقالَ بِشَيْءٍ مِنَ القَلَقِ: «لا بُدَّ مِنْ حَلٍّ لِهٰذِهِ المُشْكِلَةِ. رُبَّما أَعانَنا الجُنودُ.»

فكَّرَ الجُنودُ كَثيرًا ثُمَّ قالوا: «جَرَّبْنا الشَّدَّ وجَرَّبْنا الرَّفْعَ فلَمْ يَأْتِيا بِنَتيجَةٍ. سَنُحاوِلُ الآنَ نَفْضَ الشَّمْسِ عَنِ البَحْرِ نَفْضًا، فلَيْسَ هُناكَ مِنْ طَريقَةٍ أُخْرى. هاتوا يا شبابُ البارودَ ورَكِّزوهُ في أَسْفَلِ الشَّمْسِ.»

جَلَبَ الجُنودُ بَراميلَ البارودِ الضَّخْمَةَ ورَصَفوها تَحْتَ الشَّمْسِ، ثُمَّ أَشْعَلوا الفَتيلَ. وكانَ انْفِجارٌ عَظيمٌ!

صَرَخَتِ الشَّمْسُ أَلَمًا. ولٰكِنْ نَظَرَ الجَميعُ بَعْدَ انْقِشاعِ الدُّخانِ، فرَأَوْها في مَكانِها مُسْتَلْقِيَةً في الماءِ. ولٰكِنَّها كانَتْ في حالَةٍ مُزْرِيَةٍ مِنَ الأَلَمِ والتَّعاسَةِ.

تَمْتَمَتِ الشَّمْسُ بِحَسْرَةٍ قائلَةً: «تَعِبْتُ مِنَ الشَّدِّ والرَّفْعِ والنَّفْضِ. ولَمْ أَعُدْ أَجِدُ في رَذاذِ الماءِ تَسْلِيَةً. أُريدُ أَنْ أَعودَ إلى بَيْتي في كَبِدِ السَّماءِ.»

بَدَأَ القَلَقُ يُساوِرُ النّاسَ. فقَدْ جَرَّبوا كُلَّ الطُّرُقِ المُمْكِنَةِ، ولٰكِنَّها جَميعَها فَشِلَتْ. ولَمْ يَكُنْ نورُ القَمَرِ كافِيًا، كَما إِنَّهُمْ أَخَذوا يَشْعُرونَ، في غِيابِ الشَّمْسِ، بالبَرْدِ. ولَمْ تَعُدِ الأَزْهارُ تَتَفَتَّحُ، وبَدَأَتْ سَنابِلُ القَمْحِ تَذْبُلُ، والقَمَرُ نَفْسُهُ بَدَأَ يَكْتَئِبُ ويَذْبُلُ هُوَ أَيْضًا.

قالَ القَمَرُ بِأَلَمٍ: «واأَسَفاهُ! أَنا مُتْعَبٌ، وأَخْشَى أَنْ أَقَعَ أَنا نَفْسي في البَحْرِ.»



غَيْرَ أَنَّ مَخْلوقًا واحِدًا لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بالقَلَقِ. ذٰلِكَ هُوَ السَّمَكَةُ الصَّغيرَةُ فَرْحانَة. ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُعيرُ تِلْكَ السَّمَكَةَ البُنِّيَّةَ الصَّغيرَةَ اهْتِمامًا. لِذا فإِنَّها حينَ قالَتْ لِلنّاسِ إِنّ لَدَيْها فِكْرَةً، سَخِروا مِنْها. ولٰكِنَّها أَصَرَّتْ عَلى مَوْقِفِها، فقالَ النّاسُ:

«لَنْ نَخْسَرَ شَيْئًا. هٰذِهِ السَّمَكَةُ الصَّغيرَةُ لَنْ تَزيدَ الأَمْرَ سوءًا.»

سَبَحَتْ فَرْحانَة بِخِفَّةٍ ورَشاقَةٍ إلى عُرْضِ البَحْرِ. وهُناكَ كانَتِ الشَّمْسُ مُسْتَلْقِيَةً حَزينَةً بائِسَةً. وسَمِعَتْها تَقولُ:

«أَنا مُتْعَبَةٌ! أَعيدوني إلى بَيْتي، أَعيدوني إلى بَيْتي!»

لَمْ تَرَ الشَّمْسُ السَّمَكَةَ الصَّغيرَةَ فَرْحانَة. فتِلْكَ غَطَسَتْ في أَعْماقِ الماءِ، وأَخَذَتْ تُدَغْدِغُ الشَّمْسَ في خاصِرَتِها بِزَعانِفِها الطَّويلَةِ.

أَخَذَتِ الشَّمْسُ تَضْحَكُ وتَضْحَكُ ، بَيْنَما فَرْحانَة تَزيدُ في دَغْدَغَتِها . عِنْدَها انْفَجَرَتِ الشَّمْسُ بِصَوْتٍ مُزَمْجِرٍ صارِخَةً : «ما عُدْتُ أَحْتَمِلُ ! ما عُدْتُ أَقْدِرُ ! »

ثُمَّ ، فَجْأَةً ، قَفَزَتِ الشَّمْسُ قَفْزَةً هائِلَةً فإذا هِيَ في كَبِدِ السَّماءِ ! وعادَ نورُ الشَّمْسِ إلى العالَمِ . وارْتَمَى القَمَرُ في سَريرِهِ مُتْعَبًا ، وهوَ يَقولُ : «شُكْرًا لَكِ أَيَّتُها السَّمَكَةُ الصَّغيرَةُ ! » وكَذَلِكَ صاحَ النّاسُ قائلينَ : «نَحْنُ لَكِ مِنَ الشّاكِرينَ ! »



لكِنَّ فَرْحانَة لَمْ تَرُدَّ لِلنّاس تَحِيَّتَهُمْ . لَيْس لِأَنَّها كانَتْ خَجولَةً ، بَلْ لأنّها قَدْ تَحَوَّلَتْ ، لاقْتِرابِها مِنَ الشَّمْسِ ، إلى اللَّوْنِ الذَّهَبِيِّ الرّائِعِ !

صاحَتْ فَرْحانَة : «أَنا الآنَ سَمَكَةٌ ذَهَبِيَّةٌ ! » وكانَتْ حَقًّا كَذَلِكَ .

صارَ النّاسُ مُنْذُ ذَلِكَ الوَقْتِ ، يُعيرونَ تِلْكَ السَّمَكَةَ اهْتِمامًا شَديدًا ، وصاروا يَضَعونَها في أَحْواضٍ مائِيَّةٍ خاصَّةٍ ، ويَعْتَنونَ بِها أَعْظَمَ العِنايَةِ .

أَمَّا الشَّمْسُ فإنَّها كانَتْ سَعيدَةً لِعَوْدَتِها إلى بَيْتِها المَعْهودِ . وقَدْ أَعْجَبَها أَنْ دَغْدَغَها أَحَدٌ ، فلَمْ تَكُفَّ بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الابْتِسامِ . فلا عَجَبَ أَنْ نَراها دائمًا باسِمَةً مُنْشَرِحَةً في كَبِدِ السَّماءِ .

مَتليك
السَّاعَةُ العَجوز

كانَتْ مَتْليك ساعَةً عَتيقَةً مِنْ ساعاتِ الأَجْدادِ. ووَجدَتْ نَفْسَها في يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ وحيدَةً في مَخْزَنٍ لِلْبَضائِعِ العَتيقَةِ ، مَنْبوذَةً خَلْفَ البابِ في إِحْدى زَوايا المَخْزَنِ.

كانَ صاحِبُ المَخْزَنِ قَدِ اشْتَراها ، في جُمْلَةِ ما اشْتَرى مِنْ بَضائِعَ عَتيقَةٍ ، بِسِعْرٍ زَهيدٍ. وكانَ كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْها يَعْرِفُ اسْمَها وتاريخَ صُنْعِها مِمّا هُوَ مَطْبوعٌ عَلى وَجْهِها.

لَمْ تَكُنْ مَتْليك تَرْغَبُ في البَقاءِ في ذٰلِكَ المَخْزَنِ ، وكانَتْ تَأْمُلُ أَنْ تَنالَ إِعْجابَ أَحَدِ الزَّبائِنِ فَيَحْمِلَها مَعَهُ إِلى بَيْتِهِ. فالزّاوِيَةُ الَّتي تَقِفُ فيها بارِدَةٌ ومُزْعِجَةٌ. وكَثيرًا ما كانَ عَقْرَباها لَيْلًا يَسْقُطانِ حَزينَيْنِ كَشارِبَيْنِ مائِلَيْنِ إِلى أَسْفَلُ.

أَمّا في النَّهارِ فقَدْ كانَتْ تَجْهَدُ في رَفْعِ عَقْرَبَيْها عَلى شَكْلِ زاوِيَةٍ ، وتَصْطَنِعُ الابْتِسامَ عَلَّها تَجِدُ قُبولًا في عَيْنِ واحِدٍ مِنَ الزَّبائِنِ.

والحَقيقَةُ أَنَّ مَتليك كانَتْ عَجوزًا مُحَطَّمَةً ، غَيْرَ قادِرَةٍ عَلى إِعْطاءِ الوَقْتِ الصَّحيحِ ، فلَمْ تَرُقْ لِأَحَدٍ مِنَ النّاسِ.

ثُمَّ حَدَثَ أَنَّ السَّيِّدَ سَرْحان وزَوْجَتَهُ دَخَلا ذٰلِكَ المَخْزَنَ فأُعْجِبا بِمَتليك مِنَ النَّظْرَةِ الأولى. وسَأَلا عَنْ ثَمَنِها.

أَجابَ صاحِبُ المَخْزَنِ قائِلًا : «إِنَّها بَخسَةُ الثَّمَنِ حَقًّا. ذٰلِكَ أَنَّها غَيْرُ صالِحَةٍ ، وقَدْ لا يُمْكِنُ إِصْلاحُها.»

تَنَهَّدَتِ السَّيِّدَةُ ، وقالَتْ : «يا لَلأَسَفِ! ما أَجْمَلَ صُنْدوقَها!»

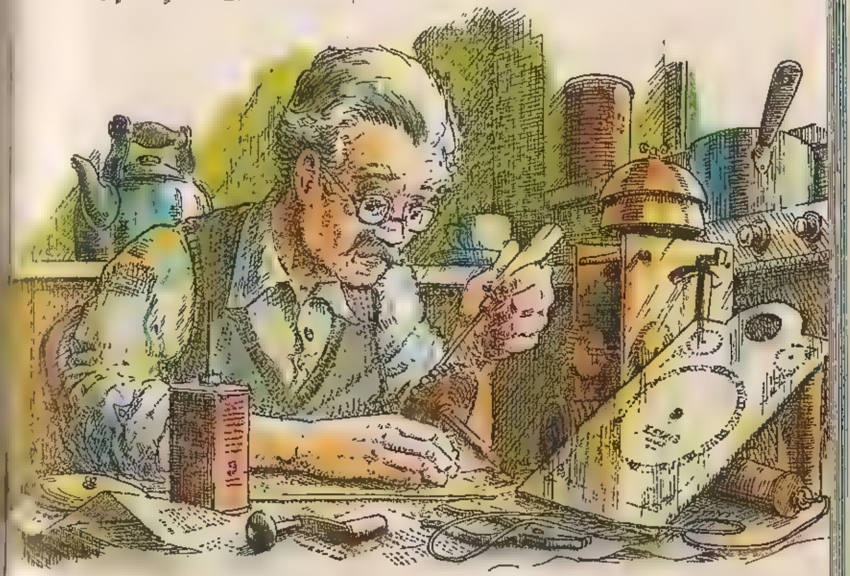
لكِنَّ زَوْجَها قالَ : «عَلى أَيِّ حالٍ ، سَنَشْتَريها. فإِنّي أُحِبُّ تَفْكيكَ السّاعاتِ ، ولَعَلّي أَتَمَكَّنُ مِنْ إِصْلاحِها.»

وهٰكَذا اشْتَرى السَّيِّدُ سَرْحان وزَوْجَتُهُ السّاعَةَ. وأَحَبَّتْ مَتليك البَيْتَ وشَعَرَتْ بِدِفْءٍ ومَحَبَّةٍ ، وأَسْعَدَها أَنْ تَجِدَ نَفْسَها قُرْبَ المِدْفَأَةِ ، غَيْرَ بَعيدَةٍ عَنْ جِهازِ التِّلِفونِ.



كانَ عَلى طاوِلَةِ التِّلفونِ ساعَةٌ أُخْرى ، أَصْغَرُ حَجْمًا مِنْ مَتْليك ولكِنَّها ساعَةٌ صالِحَةٌ. لِذا فإنَّها راحَتْ تَنْظُرُ إلى مَتْليك نَظْرَةً مُتعالِيَةً ، وتَقولُ لَها :

«أَيَّتُها السّاعَةُ العَتيقَةُ ! لَنْ تُفْلحي مَهْما جَهَدوا في إصْلاحِكِ !» وقَدْ أَحْزَنَ ذلِكَ القَوْلُ السّاعَةَ مَتْليكْ. ورُغْمَ ما بَذَلَتْهُ مِنْ جُهْدٍ ، فإنَّها ظَلَّتْ



غَيْرَ قادِرَةٍ عَلى الحَرَكَةِ والاِنْتِظام.

في أَحَدِ الأَيّام حَمَلَ السَّيِّدُ سَرْحان ساعَتَهُ مَتليك إلى المَطْبَخِ ، وقالَ : «لِنَرَ الآنَ إنْ كُنْتُ أَسْتَطيعُ إصْلاحَكِ.»

أَخْرَجَ أَجْزاءَ السّاعَةِ ، مِنَ الصُّنْدوقِ الخَشَبِيِّ ، قِطْعَةً قِطْعَةً ، ووَضَعَها أَمامَهُ عَلى الطّاوِلَةِ.

نَظَّفَ كُلَّ قِطْعَةٍ بِمُفْرَدِها وزَيَّتَها ، ثُمَّ أَعادَها إلى مَوْضِعِها بِعِنايَةٍ شَديدَةٍ - ما عدا الرَّقّاصَ. ثُمَّ حَمَلَ مَتْليك وأَعادَها إلى مَكانِها قُرْبَ المِدْفَأَةِ. ثُمَّ عادَ ثانِيَةً إلى المَطْبَخِ وجَلَبَ الرَّقّاصَ وعَلَّقَهُ في مَكانِهِ بِعِنايَةٍ. وقالَ :

«فلْنَرَ الآنَ ما يَحْدُثُ !» ثُمَّ أَمْسَكَ المِفْتاحَ النُّحاسِيَّ وأَدْخَلَهُ في مَكانِهِ ثُمَّ أَدارَهُ. ولٰكِنْ دونَ جَدْوى.

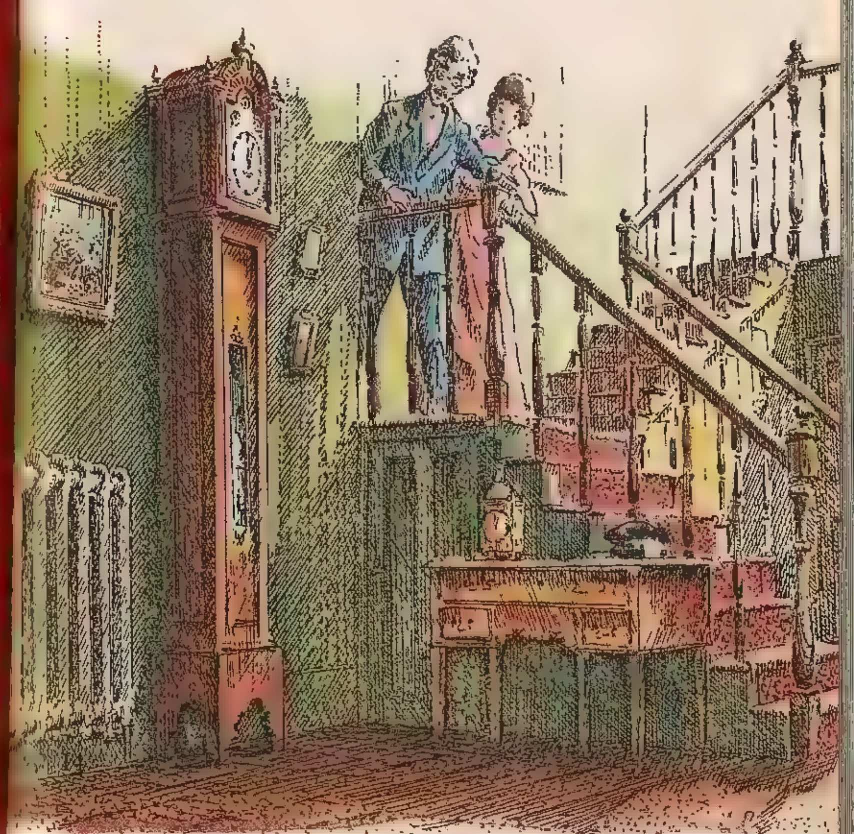
زادَ ذلِكَ مِن تَعالي السّاعَةِ الأُخْرى وتَكَبُّرِها ، وسوءِ تَصَرُّفِها مَعَ المِسْكينَةِ مَتْليك.

ثُمَّ حَلَّ الشِّتاءُ ، فكانَ عَلى السَّيِّدِ سَرْحان أَنْ يُشْعِلَ المِدْفَأَةَ طَوالَ النَّهارِ. فشَعَرَتْ مَتْليك بِالدِّفْءِ الشَّديدِ والنَّشاطِ. وفي إِحْدى اللَّيالي البارِدَةِ تَرَكَ رَبُّ المَنْزِلِ المِدْفَأَةَ مُشْتَعِلَةً طَوالَ اللَّيْلِ. في تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَدَثَ شَيْءٌ غَريبٌ. فقَدْ أَحَسَّتِ السّاعَةُ العَجوزُ بِحَرَكَةٍ فيها لَمْ تَكُنْ قَدْ شَعَرَتْ بِها مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ.

بَدَأَتْ نَوابِضُ مَتْليك تَتَحَرَّكُ ، ثُمَّ فَجْأَةً أَخَذَ الرَّقّاصُ يَتَأَرْجَحُ يَمينًا وشِمالًا ، وراحَتِ الدَّواليبُ تَدورُ ، والعَقْرَبانِ يَتَحَرَّكانِ بِبُطْءٍ ، بَلْ سُمِعَ صَوْتُ تكتكةٍ ، سَرْعانَ ما تَحَوَّلَ إلى صَوْتِ هَديرٍ صاخِبٍ.

أَيْقَظَتِ الأَصْواتُ السَّيِّد سَرْحان وزَوْجَتَهُ ، فأَسْرَعا إلى مَصْدَرِ الضَّجيجِ يَسْتَطْلِعانِ الخَبَرَ. ودَهِشا لِما رَأَيا. وقالَ رَبُّ المَنْزِلِ : «لَقَدْ فَعَلَ التَّزْييتُ والدِّفْءُ فِعْلَهُما. غَدًا أُزَيِّتُ مَتْليك ثانِيَةً وأَضْبُطُ عَقْرَبَيْها عَلى الوَقْتِ الصَّحيحِ.»

كادَتِ السّاعَةُ العَجوزُ تَبْكي مِنْ فَرَحِها. أَمَّا السّاعَةُ المُتَعالِيَةُ فَقَدْ تَخَلَّتْ عَنْ تكَبُّرِها ، ورَضِيَتْ أَنْ تَعيشَ في بَيْتِ آل سَرْحان ، مَعَ رَفيقَتِها مَتْليك ، عِيْشَةَ مَحَبَّةٍ وصَداقَةٍ سَنواتٍ طَويلَةً هانِئَةً.



طـاقِيَّةُ الفَزَّاعَة

كانَ أَحَدُ المُزارِعينَ يَعْمَلُ بِنَشاطٍ عَظيمٍ في زِراعَةِ حَقْلِهِ الواسِعِ. تَطَلَّبَ ذٰلِكَ مِنْهُ جُهْدًا كَبيرًا، لٰكِنَّهُ كانَ راضِيًا سَعيدًا. فَراحَ، وهوَ يَعْمَلُ، يُغَنّي أُغْنِيَةً لَطيفَةً، تَقولُ كَلِماتُها:

مَنْ يَحْرُثُ الحُقولَ غَيْري،
مَنْ يَنْثُرُ البِذارْ؟
مَنْ يَحْصُدُ الحُقولَ غَيْري،
ويَسْبِقُ الأَمْطارْ؟

ثُمَّ لاحَظَ المُزارِعُ أَمْرًا أَغْضَبَهُ. فَقَدْ رَأى غِرْبانًا سَوْداءَ كَبيرَةً تَسْقُطُ عَلى البِذارِ الَّذي نَثَرَهُ في الأَرْضِ وتَلْتَقِطُهُ. فَكانَ لا بُدَّ مِنْ فِعْلِ شَيْءٍ لِعِلاجِ تِلْكَ المُشْكِلَةِ!





ذَهَبَ المُزارِعُ إِلى كوخِهِ وجاءَ بِخَشَبَتَيْنِ مُتَصالِبَتَيْنِ، أَلْبَسَهُما بَعْضَ الثِّيابِ العَتيقَةِ. وحينَ انْتَهى مِنْ صُنْعِ فَزّاعَتِهِ أَعْجَبَهُ شَكْلُهُ فَأَعْطاهُ اسْمَ طَيّار.

حَمَلَ المُزارِعُ فَزّاعَتَهُ إِلى وَسَطِ الحَقْلِ، ونَصَبَهُ هُناكَ، ثُمَّ شَقَّ في الثِّيابِ فُتْحاتٍ يَدخُلُ مِنْها الهَواءُ ويَخْفُقُ خَفَقانًا، وقالَ: «ها أَنْتَ يا بُنَيَّ، كُلَّما ازْدَدْتَ تَأَرْجُحًا ورَفْرَفَةً ازْدادَ خَوْفُ الطُّيورِ مِنْ حَقْلي وابْتَعدوا عَنْ بِذاري.»

أَحَسَّ طَيّار بِاعْتِزازٍ شَديدٍ، ولَمْ يُزْعِجْهُ أَنْ يَلْبَسَ فُسْتانًا. فالفُسْتانُ يَخْفُقُ بِقُوَّةٍ. أَعْجَبَتْهُ ثِيابُهُ كُلُّها ما عَدا الطّاقِيَّةَ. فَقَدْ كانَ يَحْلُمُ بِطاقِيَّةٍ عالِيَةٍ.

بِمُرورِ الأَيّامِ صارَ لِطَيّار أَصْدِقاء. كانَتِ الأرانِبُ وفِئْرانُ الحَقْلِ والكِلابُ تَأْتي لِتَلْعَبَ قُرْبَهُ. فَأَحَبَّ صُحْبَتَها وأَحَبَّتْ هِيَ صُحْبَتَهُ.

قالَتْ لَهُ الأَرانِبُ يَوْمًا: «لا تُخْبِرِ المُزارِعَ أَنَّنا نَأْكُلُ مِنْ جَزَرِهِ.» فأجابَ: «أَنا هُنا لِأَرُدَّ الطَّيْرَ، فافْعَلي أَنْتِ ما تَشائينَ.»

كانَ طَيّار ذاتَ يَوْمٍ يَقومُ بِمُهِمَّةِ إِبْعادِ الطَّيْرِ عَنِ الحَقْلِ حينَ أَحَسَّ، فَجْأَةً، بِجَلَبَةٍ آتِيَةٍ مِنْ بَعيدٍ. ثُمَّ اشْتَدَّتِ الأَصْواتُ، فإذا أمامَهُ فُرْسانٌ يَصْرُخونَ ويَسْتَحِثّونَ جِيادَهُمْ، وكَأَنَّهُمْ يُطارِدونَ فَريسَةً. رَأى طَيّار، في



تِلْكَ اللَّحْظَةِ، شَيْئًا يَجْري نَحْوَهُ، وسَرْعانَ ما عَرَفَ في ذٰلِكَ الشَّيْءِ صَديقَه الثَّعْلَبَ. بَدا الخَوْفُ عَلى وَجْهِ الثَّعْلَبِ وهُوَ يَقولُ: «أَنْقِذْني يا طَيّار، فالصَّيّادونَ وكِلابُهُمْ يَجْرونَ وَرائي!»

قالَ طَيّار بِقَلَقٍ: «لَنْ يَكونَ في وُسْعِكَ الهَرَبُ الآنَ. عَلَيْكَ أَنْ تَجِدَ مَكانًا تَخْتَبِئُ فيهِ حالًا. أَسْرِعِ اخْتَبِئْ بَيْنَ ثِيابي.» وما إِنْ فَعَلَ الثَّعْلَبُ ذٰلِكَ حَتّى كانَ الصَّيّادونَ وكِلابُهُمْ قَدْ وَصَلوا إلى طَيّار.





وَقَفَ طَيّار هُناكَ وَقْفَةَ لامُبالاةٍ ، وكَأَنَّهُ لا يَعْرِفُ شَيْئًا ، وراحَ يُغَنّي :

أَنا طَيّار الفَزّاعَهْ ،
أَحْرِسُ حَقْلي لَيْلَ نَهارْ ،
إِنْ هَبَّتْ ريحٌ في ثَوْبي
تَهْرُبْ عَنْ حَقْلي الأَطْيارْ.

ثُمَّ هَمَسَ مُخاطِبًا الثَّعْلَبَ قائلًا : «اِخْتَبِئْ جَيِّدًا .» وكانَ الثَّعْلَبُ يَرْتَجِفُ فَزَعًا ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ أَنْ يَشْكُرَ صَديقَهُ.

وبَيْنَما كانَ طَيّار يُغَنّي هَبَّتْ ريحٌ قَوِيَّةٌ نَزَعَتْ عَنْهُ طاقِيَّتَهُ وحَمَلَتْها ،



وراحَتْ تَقْذِفُها مِنْ مَكانٍ إلى مَكانٍ حَتّى اخْتَفَتْ. وحينَ رَأَتِ الكِلابُ الطّاقِيَّةَ البُنِّيَّةَ حَسِبَتْها الثَّعْلَبَ ، فَجَرَتْ وَراءَها ولَحِقَتْها حَتّى اخْتَفَتْ هِيَ أَيْضًا عَنِ الأَنْظارِ.

عِنْدَئِذٍ خَرَجَ الثَّعْلَبُ مِنْ بَيْنِ ثِيابِ طَيّار ، وأَخَذَ الاِثْنانِ يَضْحَكانِ. قالَ طَيّار: «هٰؤلاءِ الفُرْسانُ كُلُّهُمْ وكِلابُ صَيْدِهِمْ يُطارِدونَ طاقِيَّةً !» وعادا يَضْحَكانِ ويَضْحَكانِ.

ثُمَّ قالَ طَيّار: «عَلَيْكَ الآنَ أَنْ تَهْرُبَ قَبْلَ أَنْ يَعودوا .» وهٰكذا ، شَكَرَ الثَّعْلَبُ صَديقَهُ ، وانْطَلَقَ كَالسَّهْمِ. وبَقِيَ طَيّار وحْدَهُ دونَ طاقِيَّةٍ.

جاءَ المُزارِعُ إلى حقْلِهِ ، فرأى أنَّ طاقيَّةَ طيّار قَدِ اختفَتْ . ولٰكِنَّهُ وَجَدَ بَدَلًا عَنْها طاقيَّةً أُخرى مَرْميَّةً في مَكانٍ غيْرِ بَعيدٍ . كانَتْ تِلْكَ طاقيَّةَ أَحَدِ الصَّيّادينَ ، وقَدْ سَقَطَتْ عَنْ رَأْسِهِ أَثْناءَ مُطارَدَةِ ما ظَنّوهُ الثَّعْلَبَ .

جَلَبَ المُزارِعُ الطّاقيَّةَ ، ووَضَعَها على رَأْسِ طيّار. وسُرَّ بِها الفَزّاعَةُ سُرورًا بالِغًا لِأَنَّها كانَتْ طاقيَّةً عاليَةً كَتِلْكَ الَّتي كانَ يَحْلُمُ بِها دائمًا. فشكَرَ سَيِّدَهُ ، وأَخَذَ يُغَنّي :

أنا طَيّار الفَزّاعَهْ ،
أَلْبَسُ أَعْلى طاقيَّهْ .
لا أعْرِفُ لِلنَّوْمِ مذاقًا ،
لكنّي أُغْمِضُ عَيْنَيّا .



طَريقُ الخَروفِ الضّائِعِ



ضَلَّ خروفٌ طَريقَهُ ، ووَجَدَ نَفْسَهُ وَحيدًا في ظَلامِ اللَّيْلِ. شَعَرَ بِخَوْفٍ ، وقالَ : «ماذا أَفْعَلُ؟ أَيْنَ أَذْهَبُ؟»

نَظَرَ حَوْلَهُ ، ونَظَرَ فَوْقَهُ ، فوَجَدَ في السَّماءِ نُجومًا مُبَعْثَرَةً تَتَأَلَّقُ تَأَلُّقًا لَطيفًا. ثُمَّ ، فَجْأَةً ، رَأى نَجْمَةً بَعيدَةً ، ناصِعَةً كَالثَّلْجِ وذاتَ ضَوْءٍ باهِرٍ.

قالَ الخَروفُ : «سَأَمْشي حَتّى أَصِلَ إلى تِلْكَ النَّجْمَةِ.» وبَدَأَ يَمْشي في الظَّلامِ مُتَلَفِّتًا حَوْلَهُ مُنْصِتًا لِكُلِّ حَرَكَةٍ وصَوْتٍ.

كان الجَوُّ بارِدًا ، شَديدَ الرِّياحِ ، ولٰكِنَّ صوفَهُ الكَثيفَ حَماهُ مِنَ البَرْدِ بِاسْتِثْناءِ أَنْفِهِ الصَّغيرِ العاري مِنَ الصّوفِ.

مَشى طويلًا ، ثُمَّ فَجْأَةً صادَفَ شَبَحًا. فَتَجَمَّدَ في مَكانِهِ ورَفَعَ أُذُنَيْهِ يُنْصِتُ. قَوِيَتِ الحَرَكَةُ ، ورَأى الخَروفُ أَمامَهُ كَلْبًا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الأَشْجارِ.

قالَ الكَلْبُ : «سَيِّدي فَقيرٌ، ولَمْ يَعُدْ قادِرًا عَلى إِطْعامي ، فتَرَكَني أَرْحَلُ. ولا أَعْرِفُ مَكانًا أَرْحَلُ إِلَيْهِ.»

أَجابَ الخَروفُ : «تَعالَ مَعي. أَنا أَتْبَعُ تِلْكَ النَّجْمَةَ السّاطِعَةَ.»



مَشى الخَروفُ والكَلْبُ مَعًا في الظَّلامِ ، مُتَلَفِّتَيْنِ حَوْلَهُما مُنْصِتَيْنِ لِكُلِّ حَرَكَةٍ وصَوْتٍ.

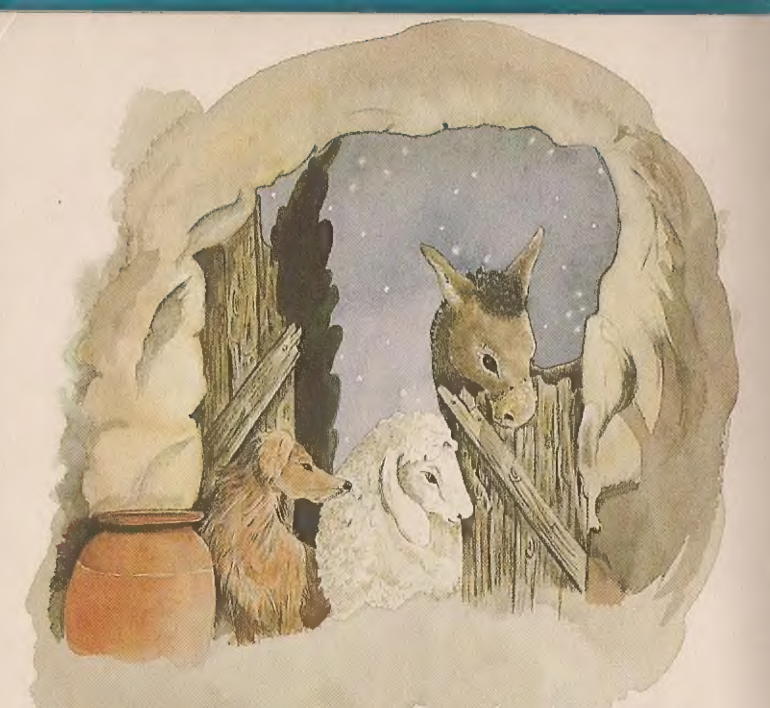
فَجْأَةً ، سَمِعا وَقْعَ خُطُواتٍ. تَطَلَّعَ الخَروفُ حَوْلَهُ وراحَ يَشْتَمُّ الهَواءَ. وتَطَلَّعَ الكَلْبُ حَوْلَهُ وراحَ يَشْتَمُّ الأَرْضَ. ثُمَّ تَوَقَّفَتِ الخُطُواتُ.

صاحَ الكَلْبُ : «مَنِ القادِمُ؟»

فَرَدَّ صَوْتٌ ضَعيفٌ قائلًا : «أَنا حِمارٌ عَجوزٌ مُتْعَبٌ.» وبَرَزَ مِنْ ظَلامِ اللَّيْلِ حِمارٌ ذو أُذُنَيْنِ طَويلَتَيْنِ ، وقالَ : «طَرَدَني سَيِّدي لِأَنّي لَمْ أَعُدْ قادِرًا عَلى الحَمْلِ. ولا أَعْرِفُ مَكانًا أَرْحَلُ إِلَيْهِ.»

قالَ الخَروفُ : «تَعالَ مَعَنا ، إِذًا. إِنَّنا نَتْبَعُ تِلْكَ النَّجْمَةَ السّاطِعَةَ.»





وهٰكذا مَشى الخَروفُ والكَلْبُ والحِمارُ مَعًا في الظَّلامِ. مَشَتِ الحَيَواناتُ الثَّلاثَةُ طَويلًا ، مُتَلَفِّتَةً حَوْلَها مُنْصِتَةً لِكُلِّ حَرَكَةٍ وصَوْتٍ.

وَصَلَتْ ، فَجْأَةً ، إلى حَيْثُ تَقِفُ النَّجْمَةُ السّاطِعَةُ ، فوَجَدَتْ أَمامَها مَغارَةً ، فوَقَفَتْ على بابِها. قالَ الخَروفُ : «أَسْمَعُ صَوْتَ طِفْلٍ يَبْكي.»

مَدَّ الخَروفُ رَأْسَهُ ونَظَرَ داخِلَ المَغارَةِ ، وكَذٰلِكَ فَعَلَ الكَلْبُ والحِمارُ ، فإذا أمامَها مَشْهَدٌ مُحْزِنٌ. رَأَتْ طِفْلًا يَبْكي مِنْ شِدَّةِ البَرْدِ وقَدِ ازْرَقَّ جَسَدُهُ. ورَأَتْ إلى جانِبِهِ سَيِّدَةً تَرْتَجِفُ مِنْ أَثَرِ الرِّياحِ البارِدَةِ الَّتي تَعْصِفُ في المَغارَةِ. وإلى جانِبِ السَّيِّدَةِ رَجُلٌ يَرْتَجِفُ هوَ الآخَرُ وتَهْتَزُّ لِحْيَتُهُ اهْتِزازًا عَنيفًا.

أَسْرَعَتِ الحَيَواناتُ الثَّلاثَةُ إلى داخِلِ المَغارَةِ ، وراحَتْ تُدْفِئُ الطِّفْلَ والمَرْأَةَ والرَّجُلَ بِأَجْسادِها. وسَرْعانَ ما تَمَشَّى الدِّفْءُ في جَسَدِ الطِّفْلِ وَتَوَقَّفَ الرَّجُلُ والمَرْأَةُ عَنِ الارْتِعاشِ. وابْتَسَمَ الطِّفْلُ ابْتِسامَةً وادِعَةً واصْطَبَغَتْ وَجْنَتاهُ بِلَوْنِ الوَرْدِ.

أَحَسَّتِ الحَيَواناتُ بِسَعادَةٍ غامِرَةٍ لِأَنَّها اسْتَطاعَتْ أَنْ تُساعِدَ أُسْرَةً فَقيرَةً ، وشَكَرَتِ العِنايَةَ الَّتي هَيَّأَتْ لَها تِلْكَ النَّجْمَةَ السّاطِعَةَ.



رَبْرَب تَعُدُّ لِلعَشَرَة

رَبْرَبُ تَلْبسُ طاقِيَّهْ ،
حَمْراءَ اللَّوْنِ وصوفِيَّهْ .
واحِدَةٌ تِلْكَ الطّاقِيَّهْ !

رَبْرَبُ تَلْبسُ خُفَّيْنِ ،
تَلْبَسُ خُفَّيْنِ **اثْنَيْنِ** ،
تَمْشي بِهِما مَشْيَ الظَّبْيَهْ .

وثَلاثَةُ أَزْرارٍ صَفْراءْ ،
في مِعْطَفِها ، تِلْكَ المَيْساءْ .
ما أَحْلى البِنْتَ الشَّرْقِيَّهْ !

ولِطِفْلَتِنا لُعَبٌ **أَرْبَعْ** ،
تَضْحَكُ تَلْهو تَحْزَنُ تَدْمَعْ .
لُعَبٌ ، يا رَبْرَبُ ، سِحْرِيَّهْ !

ما أَحْلى عَدَّ أَنامِلِها !
خَمْسٌ في يَدِها تَنْقُلُها .
يا رَبْرَبُ كَمْ أَنْتِ ذَكِيَّهْ !

بَيْضاتٌ **سِتٌّ** في صُنْدوقْ ،
جَلَبَتْها رَبْرَبُ يَوْمَ السّوقْ ،
لِتُلَوِّنَ في العيدِ هَدِيَّهْ .

كَرَزاتٌ **سَبْعٌ** كَالياقوتْ ،
حَمَلَتْها رَبْرَبُ مِنْ بَيْروتْ ،
لِتُزَيِّنَ فيها الزُّبْدِيَّهْ .

جاءَتْكِ عَصافيرُ التَّغْريدْ
جاءَتْكِ **ثَمانِيَةٌ** في العيدْ
تُهدي لَكِ أَحْلى أُغْنِيَّهْ .

أَزْهارٌ **تِسْعٌ** في المَلْعَبْ ،
خَجِلَتْ مِنْ خَدِّكِ يا رَبْرَبْ .
وَرْدَةُ خَدِّكِ جورِيَّهْ !

يا رَبْرَبُ عُدّي **لِلْعَشَرَهْ** ،
يا عُصْفورًا فَوْقَ الشَّجَرَهْ .
عُدّي وتكونينَ صَبِيَّهْ !

